الفكر السياسي
عند السيد حسن الشيرازي

الأستاذ المساعد الدكتور

جاسب عبد الحسين

الباحث

عادل غانم حسن

جامعة الكوفة / كلية الآداب

الفكر السياسي عند السيد حسن الشيرازي

الأستاذ المساعد الدكتور

جاسب عبد الحسين

الباحث

عادل غانم حسن

جامعة الكوفة / كلية الآداب

تميز السيد حسن الشيرازي فضلا عن آرائه الإصلاحية الدينية والاقتصادية والاجتماعية بآرائه الإصلاحية السياسية، حتى انه ذهب شهيداً نتيجة تلك الآراء

انطلق السيد حسن الشيرازي في عمله السياسي من قاعدة فقهية تدعى "**شورى الفقهاء**"[١] وهي تختلف عن ولاية الفقيه التي ينفرد بها فقيه واحد في تولي زمام أمور الدولة الإسلامية فتكون له صلاحيات قضائية وإجرائية واسعة، اختلف الفقهاء في تقديرها سعةً وضيقاً، من بعد ما اختلفوا في ثبوتها للفقيه فمنهم من أثبتها له، ومنهم لم يثبتها له [٢].

ذهب بعض الفقهاء إلى وجوب الشورى والزاميتها في حال كون الحاكم غير معصوم فكل ما يتعلق بشؤون المجتمع المسلم هو مورد الشورى ونتائجها ملزمة فيه[٣]. وبما أن العقول المتعددة أفضل وأصوب من العقل الواحد وبما أن الله "**سبحانه وتعالى**" أمر بالشورى، فان الولاية الشورية، أولى من الولاية الفردية، ولا جدال في كون أعضاء الشورى من مراجع التقليد [٤].

لا يوجد إجماع داخل صفوف علماء الدين أنفسهم فيما يتعلق بمفهوم الدولة الإسلامية، وتوجد بينهم اختلافات ومردها اختلاف التيارات

الاجتماعية الأيدولوجية وفهم الفقيه للعلاقة بين الدين والسياسة[٥].

وهناك من يذهب إلى اعتبار الولاية الشورية الأصل في تشريع السيادة على مستوى التشريع والتنفيذ في ضوء نظرية الإسلام السياسية [٦].

ونظرية شورى الفقهاء تعني أن السلطة العليا لا تقتصر على الفقيه الواحد والحاكم الفرد، وإنما تناط بعدد من الفقهاء الذين تتوفر فيهم شروط الولاية، وبعبارة أدق أن الفقهاء المؤهلين للحكم يشكلون نظاماً شورياً يسمى "**لجنة الإفتاء**" أو "**مجلس قيادة**" من خلاله تحكم الدولة الإسلامية بأغلبية الآراء على أساس مبدأ الشورى [٧].

برزت نظرية الولاية الشورية إلى الوجود، لكي تعالج الواقع الإسلامي بين خط المرجعية وخط التنظيم، ومن الذي يتولى عملية التغيير حزب الأمة، أو حزب الله الذي يصطلح عليه بكلمة أمة حزب الله[٨].

وقد تبنى مجموعة من العلماء مشروعاً يرتكز على فكرة أن يكون التغيير المنشود أو المعالجة عن طريق نظرية أطلقوا عليها "**حركة العلماء المراجع** "لا حركة الأحزاب الإسلامية [٩].

حاول السيد حسن الشيرازي معالجة الواقع الإسلامي من خلال سؤالين السؤال "كيف انحدرت الأمة "الإسلامية" من قمة الكمال إلى درك الهوان"، وبين أن السبب في ذلك هو وصول حكام غير كفوئين إلى هرم السلطة في الدولة الإسلامية، وغير مؤمنين بالقيم الإسلامية التي جاء بها الإسلام والقرآن الكريم فانشغلوا بملاذهم عن هموم الأمة والحفاظ على كيانها وحفظ هويتها مما جعلها ضعيفة أمام الغزاة المستعمرين، انتهى بها الحال مقسمة بين المستعمرين ينهبون خيراتها ويستعبدون أبنائها.

السؤال الثاني: "كيف يمكن للأمة العروج من درك الهوان إلى قمة الكمال" وللإجابة عن هذا السؤال: يجب أن تتجرد الأمة الإسلامية من جاهليتها الثانية وتعود إلى سبب تفوقها وقوتها الذي وحدها بعد أن كانت

قوى مبعثرة تتخطفها الدول والإمبراطوريات، فأصبحت تحكم معظم بقاع العالم المعروف آنذاك، والعودة إلى الإسلام، والعمل بمؤداه ونبذ كل العادات والتقاليد والقوانين التي لا تنسجم مع الإسلام، فبذلك يستطيع المسلمون أن يعيدوا حضارتهم التي فقدوها فبالإسلام لا بسواه أن ينهض المسلمون مهما إختلفت ألوانهم ولغاتهم وقومياتهم [١٠].

حدد السيد حسن الشيرازي عناصر النهضة الطبيعية الجذرية للأمة - أية أمة - تتلخص في:

١- وجود مبدأ شامل.

٢- وجود قيادة محددة حكيمة منطلقة من صميم ذلك المبدأ.

٣- وعي الأمة لذلك المبدأ وتلك القيادة.

٤- إيمانها المطلق لهما معاً [١١].

٥- ثقتها بنفسها، كأمة تستجمع مؤهلات النهوض المستقل.

٦- تنفيذ الأمة لذلك المبدأ - في واقعها - بإيحاء تلك القيادة .

قسم السيد حسن الشيرازي هذه العناصر الستة إلى قسمين: -

القسم الأول: ما يتصل بطبيعة المبدأ، الذي تنطلق منه الأمة، ولا صلة له بواقع الأمة وجهودها وإرادتها وهو أول نقطتين من النقاط الست.

القسم الثاني: ما ينطلق من واقع الأمة وإرادتها وجهودها، والنقاط الأربعة الأخيرة من النقاط الست، فمتى توفرت هذه العناصر الستة في امة كانت إمارة نهوضها المحتم القريب، وان فقدت هذه العناصر جميعها أو بعضها، انعكس عجزها من واقع الأمة، وفي مقدرتها على النهوض المستقل، وفي مقاومتها لمحاولات السيطرة والاستقلال.

وضح السيد حسن الشيرازي أن تلك هي الحقيقة التي يدلي بها الواقع بعد تجارب الملايين أفراداً وأعواماً، ويؤكدها التاريخ بمجموعة من

البيانات، وهذه سنة الحياة التي لن نجد لها تبديلاً ولن تجد لها تحويلاً.

وبعد إنجاز هذا الدور، باكتشاف عناصر النهضة الطبيعية، علينا أن ننتقل إلى الدور الثاني، باستعراض واقعنا المشوه المثلوم، بلا نقص أو انحياز لنتصفحه بتدبر وإمعان، إعداداً لعرضه على عناصر النهضة، فنتلمس الأخطاء لتلافيها، ونتحسس النواقص لترميمها قبل أن نباشر تشييد مستقبلنا، كي لا تكون قاعدتنا العامة متهافتة منحرفة، تودي بكياننا المنشود في نشوة الميلاد[١٢].

يرى السيد حسن الشيرازي أن مبدأ الوحدة منطلق مقدس لتحقيق الأهداف لان التفرق والتمزق في رأيه سواءاً على صعيد القيادة أو الطليعة المؤمنة أو حتى شرائح المجتمع يبدد الطاقات ويسترخص النجاحات ويبددها، فلا تصل الأمة إلى نتيجة تذكر، وقد استخلص نتيجة دقيقة جداً من رؤيته هذه مفادها أن الوحدة تنتج عملية تغيير سلمية وثورة بيضاء - كما يصطلح عليها السياسيون - لا تحتاج إلى أن نتوصل إلى العنف والقتل وإراقة الدماء والعكس بالعكس، فان التفرق والتمزق لا ينتج إلا ثورات دموية تبدأ بالعنف وتنتهي إليه، فلا يستبعد أن تبتلى الثورة في هذه الحالة بمرض العنف الذاتي الذي ينتهي بها إلى أن تأكل أبناءها إن تجد ما لم تأكله، فالتغيير في رأي السيد حسن الشيرازي يستند إلى مقومين مهمين هما الوحدة واللاعنف، لينتج تغييراً صحيحاً وثورة بيضاء لا دموية [١٣].

يستند مبدأ اللاعنف بأصالة السلام في الإسلام وليست الحرب وأساليب العنف إلا وسائل اضطرارية شاذة على خلاف الأصول الأولية الإسلامية مثلها مثل الاضطرار لأكل الميتة وما أشبه، فهناك حد للسلام مع الظالمين، وبعده تفل الأحزمة، وتعلن الحرب وهو اختيار اضطراري [١٤].

يتضح مما تقدم أن منهج السيد حسن الشيرازي ألتغييري والإصلاحي يستند إلى ثقافتين إن صح التعبير، ثقافة الوحدة الإسلامية وهي تعني شعور كل مسلم بانتمائه إلى أمة الإسلام، وثقافة اللاعنف والتي تعني أن يستند كل

تغيير منشود في الأمة الإسلامية من دون عنف وإراقة دماء، بل بالوسائل السلمية لكن مع الاضطرار إليه عندما يكون هو السبيل الوحيد يمكن استخدام السلاح والقوة لكن بقدر الحاجة لا أكثر.

نبّه السيد حسن الشيرازي إلى ما سماه "**الاستعمار الفكري المسلح**" الذي أعقب سقوط الحكم العثماني لتثبيت التصورات الاستعمارية والتأكيد عليها بكافة أجهزة النشر والدعاية، ثم تنميتها بصورة تذيب الأمة وتؤمن مصالح المستعمرين، فان المستعمرين ما أن نجحوا في القضاء على "كيان الإسلام الدولي" حتى وحدوا إمكاناتهم الدعائية، للقضاء على "كيان الإسلام العقائدي " لتكميل القضاء على واقع الإسلام كله، وفي جميع مجالاته السياسية والفكرية، فبدؤوا بتنفيذ الخطط التي صممها الصليبيون فيما سبق، وكانت نقطة الضعف التي تسللوا منها إلى الأمة والى "الرأي العام الإسلامي" هي سوء فهم الأمة لمبدئها القويم فاستغلوا منه جواً ملائماً لتربية تشويهاتهم ومغالطاتهم وتهمهم التي قذفوا بها الإسلام وإثارة الأفكار والمفاهيم التي تنسف جوهر الإسلام وتنكر صلاحيته الفعلية لمعالجة مشاكل الحياة، وخرجت الأمة من "حملة التشويه الاستعمارية" بتلفيقات مزيفة، والانفصام بين الأمة ومبدئها(١٥).

إن مقارعة الاستعمار والوقوف بوجهه وكشف ألاعيبه وأكاذيبه هو موقف المرجعية الدينية في كل العصور، فان ذلك امتداد لموقف مبدئي عام للتشيع أصر عليه أهل البيت عليهم السلام في سلوكهم وتعاليمهم، يفضي بتناسي الخلافات بين المسلمين عند تعرض الإسلام للخطر والتوجه للعدو المشترك حفظاً لكيان الإسلام العام، والدفاع عن بيضة الإسلام، لأن الإسلام قبل الإيمان ولا يصل له الإنسان إلا بعد معرفة الإسلام والوصول إليه، ولهذه السيرة التي سارت عليها المرجعية، أدلة شرعية منها موقف الإمام علي عليه السلام بعد أن تعرض الإسلام للخطر، تناسى خلافه مع الخلفاء ووقف بوجه أعداء

الدين، حفظاً لبيضة الإسلام [١٦].

يتضح مما تقدم إن ثقافة الوحدة الإسلامية التي تبناها السيد حسن الشيرازي هي من صميم العقيدة الإسلامية دلت عليها مسيرة أهل البيت عليهم السلام وأنها من المفاهيم التي تعمل على إيجاد قواسم مشتركة بين المسلمين، بحيث لا يكون للمذهبية تأثير في توحيد الصف الإسلامي، لان الوحدة المذهبية أصبحت غير ممكنة أو قد يصعب تحقيقها في اقل تقدير.

أما الثقافة الأخرى وهي ثقافة اللاعنف فقد بدت واضحة في مرجعية السيد محمد الشيرازي والتي كان السيد حسن الشيرازي يعمل بتفويضها، ففي أيام اختفاء السيد حسن الشيرازي وقبل سفره إلى الكويت عام ١٩٧٠م، اتصل به بعض الناس من المقربين إليه وقالوا له: إن الناس مستعدون للإضراب ولزرع المتفجرات في المباني الحكومية ولاغتيال بعض الشخصيات الحكومية التي اضطهدته، نهى عن ذلك اشد النهي، وقد حال نهيه دون وقوع بعض الحوادث المرة، لان أعمال العنف غير جائزة شرعاً حسب فهمه الشرعي[١٧].

بين السيد حسن الشيرازي مشكلة العالم الإسلامي فقال: أن مشكلة العالم الإسلامي هي مشكلة الكفر والإسلام حيث أن الإسلام والكفر كانا الخطرين اللذين يهدد احدهما الآخر، ولم تنجح أيهما في القضاء على مناوئه قضاءاً نهائياً، بل بقيا منذ انبثق الإسلام عدوين لا يفتآن عن الصراع وكان الصراع طبيعياً يؤمن بنظام الحياة، فقد كان الكفر يديل على الإسلام وطوراً يتغلب الإسلام على الكفر، فيتقلص المهزوم ويتوسع الظافر، ولكن لا يلقي احدهما السلاح، وأصبحت الحرب "حرب إبادة من جانب الكفر" وحرب استماتة من جانب الإسلام [١٨].

وقد تضخمت وتوسعت المشكلة في مراحلها الأخيرة وامتدت جذورها إلى كل بيت ومقهى ومنتدى حتى أصبح في كل أسرة عائلية أو فكرية أو علمي فردٌ يحارب الإسلام، ويؤيد هذا الاستعمار أو ذاك بحيث

تطورت " مشكلة الكفر والإسلام" - التي كانت مشكلة - "الحكومة الإسلامية" وحدها إلى مشكلة كل فرد وأسرة، وانبرى الجميع لمكافحة هذه المشكلة بأساليب غير مدروسة، أو غير صحيحة، فكانت جهوداً بلا نتاج، وفي طريق التعبئة الجماعية لعلاج هذه المشكلة بصورة مدروسة وصحيحة [١٩].

انطلق السيد حسن الشيرازي من هذه التصورات لطرح مفهوم " حزب الله" في وقت مبكر جداً، إذ كان يعتقد بان كل من يعمل للهدف انطلاقاً من الإسلام إنما ينتمي إلى "حزب الله" الذي لم يفهمه تنظيماً حزبياً ضيقاً وخاصة بشريحة مؤمنة دون سواها ومقتصراً على ثلة دون أخرى وإنما هو تيار إيماني نهضوي ينضوي تحت لوائه أنصار الله وأحباؤه وقادر على استيعاب كل الأمة إذا قررت الانتماء إليه يقول في ذلك:

الحزب حزب الله ليس سواه في الإسلام أحزاب ولا أنصاب

فحزب المؤمنين واحد والسبيل واحد لا يفترق أبداً وشعاره "قل هذه سبيلي ادعوا الله على بصيرة أنا ومن أبقى".

أما الطائفية فقد اعتبرها السيد حسن الشيرازي صنفاً من الإرهاب لأنها أسلوب دنيء لتمزيق الأمة إلى طوائف وشيع، ولا يجوز الترويج لها أو التوسل بها طريقاً لتحقيق الهدف المقدس فهي الفتنة العمياء التي طالما أثارت الأحقاد والضغائن بين صفوف الأمة، ولذلك لا يتوسل بها إلا الطاغوت الحاكم كلما أراد السيطرة على مقدرات الأمة من إثارتها لتمزيق الأمة أولاً ثم إضعافها وسلبها إرادتها وقدرتها على المواجهة [٢٠].

تحدث السيد حسن الشيرازي عن الحلول المعروضة للمشكلة الإسلامية المعاصرة بحيث يمكن إطلاق اسم "العلاج الإسلامي" عليه واشترط لذلك:

١- أن يكون علاجاً فعلياً تجريبياً، يحل المشكلة في مدى تنفيذه، وأما لو كان العلاج شعراً مفرقاً في المثالية فلا يصح اعتباره علاجاً .

٢- أن يكون علاجاً منبثقاً من صميم الإسلام، بوحيه وأساليبه، لان الإسلام - باعتباره ديناً فكرياً عقائدياً - يرفض كل علاج يقضي على مشكلة ما لم يكن منتزعاً منه، فالنظام الشيوعي يعالج مشكلة الإقطاع، والنظام الاشتراكي يعالج مشكلة الإقطاع، على الرغم من أن الإسلام لا يعترف بهما، إنما يعترف بنظام "إحياء الموات" المنتزع منه، وكذلك الشيوعية تعالج كافة المشاكل الفردية والاجتماعية والدولية، مع أن الإسلام لا يعترف بمعالجاتها وإنما يعترف بمعالجاته الخاصة المقررة في الفقه الإسلامي، فلا بد أن يكون العلاج الإسلامي مستنبطاً من مصادره الفقهية لا مستنبطاً من الأنظمة الأجنبية الوافدة.

٢- إن تتوفر لديه الضمانات التي تكفل للإنسانية صدقه وثوابه عند الله وفي رأي الإسلام، لان مجرد الاقتباس من مصادر الشرع الإسلامي لا يغني لا ثبات حقيقة دينية، بل لابد من توفر "ضمان" يؤكد واقعيتها، وإلا فان الاثنين والسبعين فرقة التي تشعبت من الإسلام، تستوحي ذاتها من الكتاب والسنة [٢١].

إشترط السيد حسن الشيرازي أن تعالج مشكلات المجتمع المسلم عن طريق استنباط الأحكام الإسلامية من قبل العلماء، لا من قبل الذين اعتنقوا الإسلام للارتزاق أو المنصب أو المصلحة، أو الذين لم يعرفوا حقيقة الإسلام وجوهرته النامية وعظمته الزاهية، ومع ذلك فهم يحبون أن ينتصر الإسلام، ولكن لترهل إيمانهم، وخور عقيدتهم لا يستطيعون أن يتصورا أن الإسلام بنفسه يفتح طريقه في عالم مزدحم بالقوة والمبادئ الجارفة، فإذا رؤوا مبدءاً - أي مبدأ - اخذ طريقة إلى التقدم - يحاولون أن يلصقوا ذلك المبدأ بالإسلام والإسلام منه براء [٢٢].

تحدث السيد حسن الشيرازي عن الأحزاب الإسلامية بوصفها احد إشكال التنظيمات الإسلامية المعاصرة وبين أنها تبدأ بفرد مفكر أو أفراد

مفكرين امنوا بان الإسلام في الصيغة التي تصوره فيها، هو النظام الأصلح الذي يوفر السعادة للإنسان، فقرروا تنظيم حركة قاعدية هرمية لتنفيذه في واقع الحياة، فنصبوا احدهم قائداً للحركة، أو ينحتون من مجموعهم قيادة جماعية في واقع الحياة مشتركة للحركة حسب اختلافات الآراء في توحيد القيادة أو جماعتها - وساروا في الطرق الحزبية السرية أو العلنية، ليسيطروا على الحكم عن طريق الثورة العسكرية المسلحة، أو أكثرية الأصوات في البرلمان، فيبدلوا نظام الحكم المباد بنظام الحزب الظافر، ويرغموا الشعب على تقبل النظام الجديد، بنفس الأجهزة والأساليب والسابقة، تلك نواة الأحزاب الإسلامية في الفكر والمنهج وهي ... حركة الأحزاب الإسلامية، منذ منطلقها حتى مسيرها ومصيرها وهي ليست حركة إسلامية في واقعها المقنع باسم الإسلام، وان حملت شعاراته، لان الحركة الإسلامية الصحيحة، هي التي تكون في بواعثها وأساليبها وأهدافها إسلامية في الصميم، بحيث إذا انحرفت قيد شعرة يبدو الانحراف شذوذاً، إلا أن تكون الحركة في بواعثها وأساليبها وأهدافها غير إسلامية، حتى يلاحظ فيها الالتقاء مع الإسلام شذوذاً [٢٣].

وضح السيد حسن الشيرازي انه على الرغم من أن الأحزاب السياسية الصحيحة تشكل عاملاً أساسياً في انفتاحية الحكم ورفاه الشعب وتحرره النفسي والفكري، إلا أن التجارب السياسية للعديد من الدول والأمم أثبتت أن العمل الحزبي يمكن أن يكون عامل هدم بقدر ما يكون عامل بناء، وهذا أمر يرجع إلى تركيبة الحزب وأهدافه ومبادئه ثم علاقته بالقوى والأطراف فليس كل حزب ولا كل حزب مرفوض بل لابد من إيجاد صيغة متكاملة تجمع لنا بين ايجابية الأحزاب وتنجينا من سلبياتها، ومن هنا سنسلط بعض الأضواء على هذه الصيغة، قد تكون النظرة إلى شرعية تعدد الأحزاب في ظل المرجعية الدينية نظرة تكاد تكون خالية المعالم والأبعاد عند الذين لم يضعوا مجالاً لتبرير التعددية فانعدمت زاوية النظر الصحية لديهم، ذلك ان

منطلق هذه النظريات جاء من خلال ما رسمته الأحداث من واقع مرير على ساحة العمل السياسي وما شهدته السياسات الحاكمة من دكتاتوريات فرضت نفسها على واقع العمل الحزبي والسياسي فشوهت المنطلقات السليمة التي من اجلها أنشأت الأحزاب[٢٤] .

يعتقد السيد حسن الشيرازي أن حركة الإسلامية، حركة ديمقراطية لا تنتمي إلى الإسلام لأن: قيادتها قيادات ديمقراطية لا إسلامية، إذ القيادة الإسلامية، لا .... فيمن تكاملت فيه مؤهلات " مرجع التقليد" وطريقة تنصيبه ليست الانتخابات والاختيار الكيفيان إنما تتحقق بإثبات توفر ذلك المؤهلات فيه، فهو لا يحتاج إلى أكثر من التمييز والتعرف عليه، بواسطة تحكيم أهل الخبرة الذين لا يحق لهم استخدام صلاحياتهم إلا في مجرد التمديد والبيان، بينما تكون قيادة الأحزاب الإسلامية، متحررة من مؤهلات المرجع فلا يشترط في القائد الحزبي الاجتهاد في الفقه الإسلامي ولا أي واحد من شرائط المرجع، وإنما يتولى قيادة الحزب، فرد مفكر يشترك فيها أفراد مفكرون ممن لهم سوابق حزبية فان المؤهلات الحزبية إذا توفرت في شخص رغماً عن جميع النواقص والانحرافات الأخرى فان الحزب يفضله على أعظم منه لا تتوفر فيه المؤهلات الحزبية [٢٥].

بين الحزب حسن واعترف بان جماهير المسلمين قد انفطرت من قيادة العلماء،وتلاحمت أشتاتاً للانضواء تحت قيادات والاستعمار، والأحزاب والحكومات الوضعية، وان السلطات الاستعمارية والعميلة تطاردهم وتضيق عليهم السياج المادي والمعنوي، ولكن اذا حق ان العلماء يواصلون و العمل الدائب المخلص فلماذا لا ينجون ؟ المنجزات التي تتناسب وهذه الجهود الضخمة التي تصفونها !

الجواب: لان عدد العلماء اقل من الجهود الذي يامله منهم العالم الإسلامي والحاجة التي يواجههم بها المسلمون، وإذا أمكن أن نطالب كل

واحد منهم بعمل رجلين أو دائرة كاملة، فلا يسمح كيانه العضوي البشري بمطالبته بعمل حزب أو وزارة أو حكومة وقد أصبح توقعها من العلماء بهذه النسبة المجازفة فعندما يرى المسلمون حكومة تنحرف عن خطة الإسلام، يصبون حقدهم على المرجع الديني الذي يعيش في ظلها، مع الاعتراف بأنه مطوق مادياً ومعنوياً، وان الشعب لا يستجيب له في صغيرة ولا كبيرة، وهل المرجع إلا إنسان واحد في طاقاته الجسمية وان كان قوي الروح والتفكير [٢٦].

قرر السيد حسن الشيرازي أن "حركة الأحزاب الإسلامية" بند صميم من الحركة الديمقراطية العضوية، ولا يمكن فرزها عنها حتى بسكينة الجزار، ولا ينفع ما يستدل به على اختلافها "أن نظام الأحزاب الإسلامية مقتبس من الإسلام، والنظم الديمقراطية غير مستوحاة منه" [٢٧].

وذلك لان الديمقراطية منهج سياسي يحدد طريقة الحكم، وليس نطاقاً داخلياً يختلف مع الإسلام في قوانينه الداخلية أو يتفق، فيستخلص مفعولها في "جعل الشعب مصدر السلطات" وإلغاء المصادر الأخرى ومؤدى ذلك ترك حرية تشريع النظام وتنفيذه للشعب المتمثل في الأغلبية، والنظام الداخلي للأحزاب الإسلامية لا يناقض هذه الفحوى، بل أن كل الأحزاب الإسلامية لا تطيق سوى تنفيذ الديمقراطية، لأنها تتكون تكون ديموقراطياً، يؤمن بتحكيم رأي الأكثرية في كافة خطوطها وأساليبها ومرافقها، ثم يكون تنسيق خلاياها تنسيقاً ديموقراطياً [٢٨].

تختلف الديموقراطية عن الإسلام في عدة وجوه منها أنها تستند سلطانها من الشعب بينما الإسلام يستمد سلطانه من الله "سبحانه وتعالى" والولي يتسلم دساتيره عن الله "سبحانه وتعالى" هذا الإسلام السياسي، أما الإسلام الاجتماعي - إن صح التعبير - فتكون الولاية لصالح الشعب لكن لا مطلقاً بل في نطاق رضي الله عنه "سبحانه وتعالى" فالديمقراطية تقدس صوت

الأكثرية مثلاً، والإسلام بقدر صوت الحق، ولو كان الناطق به غلاماً غير مراهق ولا يعتبر للأكثرية وزناً ما لم يصاحبها الحق، والديمقراطية تساوي بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات والإسلام لا يعترف بذلك، فلا يطالب المرأة بالواجبات الملقاة على كواهل الرجال، ولا يقدر لها من الحقوق ما يقدر للرجل [٢٩].

وضح السيد حسن الشيرازي بان قائد الحزب ينتخب بأكثرية الأصوات ويتجه الحزب - بتوجيه عملي لاشعوري آلي - إلى "عبادة الفرد" إذا انتخب فرداً واحداً لقيادة الحزب، كما يتجه "لعبادة المجهول" إذا انتخب أفراداً مجهولين للقيادة - وان ترددت في خطب الحزب ومحاضراته: انه ضد عبادة الفرد وعبادة المجهول، لان الواقع يفرض نفسه تجاه الإنسان، أكثر من الكلام فالحزب الذي يلقن أعضائه باستمرار وجوب إطاعة الفرد القائد، أو الأفراد المجهولين لأنهم يتفوقون بالعبقرية الحية، ويمتازون بنشاطات ونضالات سابقة، لا يمكن لأحد انجازها بعد توسع الحزب، ينحدر على عبادة ذلك الفرد المتفوق أو أولئك الأفراد المتفوقين، عبادة لاشعورية عمياء حيث يتصورهم فوق المعدل الذي يرفعهم فوق مجالات التسابق والمجاراة [٣٠].

وجدت بعض الأحزاب الإسلامية التي لم تكتف بقيادة الأمة الإسلامية وفق منظورهم السياسي والايدولوجي - كما في حالة الإخوان المسلمين - بل حاولوا السيطرة على الأزهر وعلى المواقع الأخرى خارج مصر، أو أن الحركة نفسها أو الحزب أو التنظيم يصبح هو مرجعاً بدل المفتي ودار الإفتاء [٣١].

والأحزاب الإسلامية تكون متطرفة، تركز على الجانب السياسي من الإسلام وتهمل بقية الجوانب الحيوية منه، التي لا يتكامل الإسلام إلا بها، تبعاً للتكتيك الحزبي الهادف إلى تكريس الجهود للتضافر على تسلق الحكم، وتفلسف هذه الأحزاب هذا التطرف المفرط، بوجوب توارد النشاطات

لانتزاع الحكم الإسلامي كله من قبضاتهم وائتمن عليه رجال مؤمنون لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً ... كافة معالم الإسلام ومشاريعه العبادية، بصورة تلقائية تلبية للجو الإسلامي الحاكم فلا مبرر لإهدار الطاقات الواعية - الآن - في سبيل الطقوس العبادية والأمة تشتكي عجزاً ريعاً في المجال السياسي [٣٢].

بين السيد حسن الشيرازي أن الاتجاه الحزبي العام، حيث ينبعث من اتجاه الفرد القائد، أو المجلس القيادي والفرد أو المجلس متى اطمأن من ثقة الحكم، يستجيب لنزوعه الذاتي إلى السيطرة والسيادة، فيكرس اهتمام الحزب، لهذا الهدف الأناني الصغير، ويضفي عليه ألف فلسفة ...، وبصورة للرأي العام الساذج، إرادة الله التي لم يطلب سواها، ويحاول - ألف تفسير مزيف - ... وتريح القران الكريم وإنكاره "تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَساداً وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" وقوله تعالى "... أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ" والإسلام مجموعة كاملة، يجب أن يؤخذ كله، أو يترك كله، والإنسان الحزبي الذي يسعى في الجانب السياسي منه فقط، لا يختلف في منطق القرآن عن العابد الذي يمارس الجانب ألعبادي فحسب، في أن الإسلام في كليهما إسلام ناقص، ثم أن العمل للإسلام شطر صميم من الإسلام لأنه بعض مفاهيم " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر" وكل شيء من الإسلام يجب أن يؤدى كما حدده الإسلام حتى يصح انتماؤه إليه، فمن توجه في صلاته إلى غير القبلة وان خلصت مشاعره لله وحده، فصلاته باطلة، ولن يصححها دعاء: "إن الهدف الأول والأساس من الصلاة هو توجيه القلب إلى الله "تعالى" بهذه الحركات والقراءات والإذكار، ولم يكن تخصيص القبلة بالاستقبال، ولا للمبالغة في تخليص الاتجاه إلى الله "تعالى" استغنى عن مواجهة الكعبة بالذات " فلا يصححها هذا التفلسف لان الله أراد الصلاة مع الاتجاه الصحيح، والعمل لتطبيق الإسلام عمل إسلامي، يجب أن

تتبع فيه حدود ما انزل الله "تعال" حتى يكون مشروعاً يثاب عليه العامل[٣٣].

أكد السيد حسن الشيرازي أن الإسلام لا يؤمن بالحركة السرية مبدئياً ولا يعرف الحركة الحزبية إلا بنداً من الديمقراطية التي ينكرها الإسلام اشد إنكاراً، ويرى أن الدين عقيدة يجب أن تتدرج من القاعدة لا أن تنقض من القمة، وإلا لفشلت قبل أن تعبر عن واقعها ولفها الخزي والإشاعات والتهريجات التي تقضي على رصيدها المتخلف في النفوس [٣٤].

وضح السيد حسن الشيرازي سمات المشروع الإسلامي المعاصر عبر:

١- الإيمان بان الإسلام دين الحياة، ولا يمكن أن تسود الرسالة سوى بدخولها معترك الصراع الحضاري بخطىٍ واثقة وعزيمة راسخة ورؤى منفتحة على العصر.

٢- ضرورة استكناه جوهر الإيديولوجيات في الضفة الأخرى ، وتفكيكها ورسم معالم البديل الإسلامي بأدوات معرفية وعلمية لا يرقى ... إلى جدوائيتها وجدارتها وحيويتها.

٣- السعي الدؤوب لزج جميع الطاقات البشرية في المشروع الإسلامي المعاصر وعدم التفريط بأية شراكة يمكن أن تضيف بايجابية إلى المشروع وترفده بسبل الديمومة والتطوير.

٤- إشاعة أدب الحوار، وإنزال هذا المفهوم "المتلبس" و"المبهم" إلى ميادين الاحتكاك والعمل في تلك الفترة ليصبح من ضروريات المنهج.

٥- إرساء مفهوم التعددية والتعايش والتسليم إلى أن الأطياف في الساحة عامل أغناء وليس إقصاء وقد راهن السيد حسن الشيرازي عبر مسيرته العلمية على هذا العامل، ولم يمهله الزمن، لتنفتح على يديه الكثير من الرؤى والتطورات التي كانت حبلى بها أفكاره الفذة كما كان ديدنه، إشاعة روح التعايش في كل الساحات التي زارها والتقى برموزها وكوادرها [٣٥].

٦- نبذ المشاحنات والنزاعات الجانبية التي تضعف الصف الإسلامي وبالتالي تعزز التصدعات في هيكلية المشروع الإسلامي، وتعرقل الكثير من مفاصل الاشتغال على مفرداته.

٧- التأكيد على تلازم القضايا الإسلامية ضمن المشرع العام وضرورة مواكبة التفاصيل بروح القضية الواحدة، وفي هذا المضمار استشرف السيد حسن الشيرازي الوعي لمفردات العصر الكثير من القضايا الملحة والإشكالية التي كانت تشكل جزءاً من التحديات التي تواجه الحالة الإسلامية، وضمن بذلك مكانة مازالت تتعاظم بعد استشهاده، والأمثلة على ذلك كثيرة لكن الأبرز منها هو تبنيه لقضية المحرومين في لبنان [٣٦].

ناقش السيد حسن الشيرازي " أطروحة الأعمال الفردية " التي تعني الحركة التي لا تؤمن بالمقاييس والمبادئ الثابتة خارجاً وإنما تجعل الفرد القائد مقياساً ومبدأ يرتفع فوق كافة المقاييس والمبادئ يجب أن تكون إرادته حاكمة في الحركة، دون أن تستطيع العقائد والأفكار الخارجية نفسها، مادامت ذهنية القائد مؤمنة بصلوحها للحركة، فهي تشمل الحركات التي لا تؤمن بالتنظيم الحزبي، ولا تنضوي تحت القيادة الإسلامية الصحيحة وإنما تتقي وقودها من نشاط فرد وان قادتها مجالس أو لجان أو مؤتمرات، كثيرة الصخب والأعضاء، وتكتلت على حسابها جماعات شيدت وجودها العلمي على التنظيم وتوزيع الأعمال فحركة الأعمال الفردية وان لم تخضع لصيغة محدودة ومفهوم خاص مرسوم كحركة الإضراب، بل تتطور وتختلف بنياتها وأساليبها، تلبية للظروف والبيئات والانفعالات الدافعة إلى تلك الحركة، وتتحكم فيها أراء واتجاهات الشخصية القوية فيها [٣٧].

يمكن تحديد "أطروحة الأعمال الفردية" بأنها كل حركة تنبعث من الشعور بشذوذ وضع قائم، ووجوب تطويره، سواء ابدأ الشعور بالشذوذ في نفس فرد ثم تسرب منها إلى نفوس الآخرين، أم تكون الشعور بالشذوذ

جماعياً ولكنه تفاقم وبلغ نضوجه في نفس فرد ثائر، معبر عن الإرادة المشتركة في نفوس جمهور، وانبرى لتعديل ذلك الوضع الشاذ واستصرخ إفراداً تناصروا معه، لوضع خطة العلاج، وعملوا على تنفيذها في واقعهم، فهي كل حركة لم يكن لها كيان فكري عقائدي هي يتفاعل مع الأبعاد والاتجاهات العاملة، خارج نطاق الحركة، بحيث تكون مستقلة مبثورة لا تتشعب معها إرادات أخرى من مصدر واحد [٣٨].

والحركات الفردية لا يمكن أن تخدم واقع الإسلام وتكسب مرضاة الله "سبحانه وتعالى" التي يجب أن تكون الهدف الأول والأخير لكل عمل إسلامي ودليل صدقه وإخلاصه، ومهما جهدت لتدس نفسها في حركة الإسلام فان الإسلام يرفضها، لان الحركة الإسلامية هي التي تولد بوحي مباشر منه، وهذه بعيدة عنه [٣٩].

طرح السيد حسن الشيرازي "حركة الفقهاء والمراجع" ورأى أن تتألف من "قمة" و"جهاز" و"قاعدة" فالقمة تتمثل في المرجع الأعلى للمسلمين والجهاز يتألف من إرادة عليا يرأسها المرجع الأعلى وتنعقد في مقره وتوزع على أعضائها الأعمال الرئيسية، وهي تؤدي دور"مجلس الوزراء" في إيصال المعلومات إلى "المرجع الأعلى" ومناقشتها معه، وتلقي الأوامر منه، ثم تنقل ذلك إلى الأمة ومن "أعضاء" يوظفون في كافة المناطق التي يعيش فيها المسلمون، وهم يقومون بدور رئيسي الوحدات الإدارية، باختلاف مدى نوعية الصلاحيات الممنوحة لهم فيقيمون بتنظيم شؤون المسلمين وتنفيذ أوامر القيادة فيها " [٤٠].

و"القاعدة" وهي مجموعة الأمة التي تتبع ذلك المرجع وتطيع أوامره ونواهيه وهذا التنظيم يؤدي إلى:

١- حصانة الأمة من الانشقاقات الداخلية، والانفراط إلى كتل منحازة تبعث على اشتباكات دائمة في صميم الأمة.

٢- مناعة الأمة من تسلل الاتجاهات الأجنبية عن واقع الإسلام إلى واقع الأمة في حركتها التصاعدية التوسعية، وتوفير الإيمان في النفوس باسم الإيمان.
٣- صيانة الأمة من تسلل وتطفل القيادات الكاذبة عليها واستنزاف إمكاناتها لإرواء الرغبات الشخصية، وتأييد السلطات المحلية والاستعمارية.
٤- حفظ وحدة الإسلام ووحدة الأمة، ووحدة الأمة الإسلامية حتى لا يتجزأ الإسلام إلى ألف إسلام والأمة إلى ألف امة، والكلمة الإسلامية إلى ألف كلمة إسلامية، فلا تكثر المذاهب والطوائف والأحزاب، بل يبقى الإسلام واحداً والأمة واحدة والكلمة الواحدة أبداً [٤١].

ولما كانت مسألة تعدد المرجعيات مسألة طبيعية في التاريخ الشيعي وأنها مثلما لها جانب ايجابي فلها جانب سلبي، الذي قد يتمثل بالعصبيات التي تمثلها الذهنية المغلقة التي تستغرق في الإشباع في الشخص ونبذ الشخص الآخر، من دون دراسة للبرنامج الإسلامي في خطة المرجعية التي تفرض اللقاء أو التنسيق من أجل تحقيقها، فالملحوظ أن الذاتية المغلقة بأكثر من غلاف ديني واجتماعي هي التي تحكم المسألة المرجعية ومن جهة أخرى فإنها تبتعد بالواقع الإسلامي الإمامي عن وحدة القيادة عندما تتصل المرجعية بالحياة العملية للناس، مما يولد فوضى في المواقف، ومشكلات للناس عندما تعدد الانتماءات المرجعية في الأسرة الواحدة أو البلد الواحد وتتضاد الفتاوى وتؤدي إلى سلبيات في العلاقات الخاصة والعامة [٤٢].

مما تقدم نستطيع أن نستنتج انه لابد للمرجعية أيضاً من عمل منظم فيما بينها وشورى متجانسة داخلة ضمن إطار الحكم الشرعي بحيث لا يخرج المراجع من اجتماعهم إلا وهم متفقون على أمرٍ واحد لا يضع الأمة في دائرة الحيرة والاختلاف ويضمن نفس الوقت عدم تسلط رأي الآخر ولا وجود صوت يكتم بقية الأصوات وان مهمة نشر هذه الأفكار والقرارات وإيضاحها وبرمجتها بصورة واقعية ومفهومة [٤٣].

Abstract

Said Hasen Al-shirazy is one of the figures that had participated in the contemporary history of Iraq whether in the religious, social and political level, and had many contributions in the general life of Iraq

Said Hasen Al - shirazy had laid down the idea of the "authoriazed foqha movement haraket Al-fuqha wl- marajae" within his political theory which refered to the marjea, staff and base, and it just like the known work of the cabinet.

Said hasen Al - shirazy cared for the muslims, affairs throughout al the Islamic world, the problems they faced and how to support them in their conflict. He worked hard to find mutual factors among the muslims that resulted in elevating their status.

المصادر والمراجع

(١) شورى الفقهاء: مشروع أصلاحي تقدمي وضع للحوزات العلمية وواقع الامة والسير بها الى الأمام وهي تعني قيام المراجع بمهمة واحدة، والعمل المشترك لخدمة الإسلام، ولإنقاذ المسلمين من واقعهم المأساوي، وقد أستدل على صحة الشورى أو الولاية الشورية بالآية ١٥٩ آل عمران " وَشاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ " وهذه الشورى بين مراجع التقليد وفقهاء الامة يكون لكل فقيه ممثل في مجلس الشورى ينوب عن المراجع ويتدارس مع بقية ممثلي المراجع مشاكل المجتمع المسلم وهمومه . مرتضى الشيرازي، شورى الفقهاء، دراسة أصولية فقهية، ط٤، (بيروت: مؤسسة الفكر، ١٩٩٦م)، ج١، ص ٥١٥ .

(٢) محمد صادق الصدر، ولاية الفقيه، (النجف: د.م، د.ت)، ص ٣-٣١ .

(٣) فرج موسى، الدين والدولة عند الامام مهدي شمس الدين، (بيروت: دار النهار، ٢٠٠٢م)، ص ٤٣٧ .

(٤) محسن كريفر، نظريات الحكم في الفقه الشيعي، ترجمة دار الجيل، (بيورت: دار الجديد، ٢٠٠٠م)، ص ١٢٣ .

(٥) محمد رضا جليلي، الأسلام الشعي والدولة، ترجمة علي الخطيب، (بيروت : دار الرسول الاكرم، ١٩٩٧م)، ص ٩٧ .
(٦) حيدر آل حيدر، ولاية الفقيه، (طهران: مجمع الفكر الأسلامي، ١٩٨٨م)، ص ١٤٥ .
(٧) صالح آل أبراهيم، المرجع والأمة، دراسة في طبيعة العلاقة والمهمات، (بيورت: دار البيان العربي، ١٩٩٣م)، ص ١٣٩ .
(٨) محمد حسن فضل الله، الحركة الإسلامية، هموم وقضايا، (بيروت: دار الصدر، ١٩٩٨م)، ص ٩ .
(٩) محمد تقي المدرسي، القيادة السياسية في المجتمع الاسلامي، (طهران: دار مجي الحسني، ٢٠٠٤م).
(١٠) حسن الشيرازي، كلمة الاسلام، ط٢، (بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣م)، ص ١٥-٣٢ .
(١١) المصدر نفسه، ص ٤٠ .
(١٢) حسن الشيرازي، كلمة الاسلام، ص ٤٠-٤١ .
(١٣) نزار أحمد، قراءة في الأدب السياسي للشهيد الشيرازي، الراحل الحاضر، ص ١٢٥.
(١٤) عبد الرحيم محمد، الإمام الشيرازي، ص ٢٨ .
(١٥) حسن الشيرازي، كلمة الإسلام، ص ٥٤-٥٥ .
(١٦) محمد سعيد الحكيم، المرجعية الدينية، الحلقة الثانية، ط٥، (بيروت: مؤسسة المرشد، ٢٠٠٣م)، ص ٥٧-٥٨ .
(١٧) محمد الشيرازي، خواطر وذكريات، ص ٤٠٧-٤٠٨ .
(١٨) حسن الشيرازي، كلمة الاسلام، ص ٧١-٧٢ .
(١٩) المصدر نفسه، ص ٧٩ .
(٢٠) نزار احمد، قراءة في الأدب للشهيد الشيرازي، الراحل الحاضر، ص ١٢٥-١٢٦ .
(٢١) حسن الشيرازي، كلمة الاسلام، ص ٩١-٩٢ .
(٢٢) حسن الشيرازي، بحوث وقصائد حول الإسلام والولاء، ص ٢٣ .
(٢٣) حسن الشيرازي، كلمة الاسلام، ص ٩٩-١٠٠ .
(٢٤) حيدر حسين الكاظمي، اطروحة العمل الحزبي في آراء الشهيد الشيرازي، الراحل الحاضر، ص ٩٥.
(٢٥) حسن الشيرازي، كلمة الاسلام، ص ١٠١-١٠٢ .

(٢٦) حسن الشيرازي، من أين نبدأ، الأخلاق والآداب، مجلة، كربلاء، العدد٩، السنة الرابعة، ١٩٦٣م، ص ٣٢١-٣٢٢ .
(٢٧) حسن الشيرازي، كلمة الإسلام، ص ١٠٢ .
(٢٨) المصدر نفسه، ص ١٠٢ .
(٢٩) حسن الشيرازي، بحوث وقصائد حول الإسلام والولاء، ص ٢٨-٢٩ .
(٣٠) حسن الشيرازي، كلمة الإسلام، ص ١٠٣-١٠٤ .
(٣١) عادل رؤوف، العمل الإسلامي في العراق بين المرجعية والحزبية، قراءة نقدية لمسيرة نصف قرن (١٩٥٠-٢٠٠٠م)، ط٣، (دمشق: المركز العراقي للاعلام والدراسات، ٢٠٠٥م)، ص ٧٥ .
(٣٢) حسن الشيرازي، كلمة الاسلام، ص ١٠٧ .
(٣٣) المصدر نفسه، ص ١١٠-١١١ .
(٣٤) المصدر نفسه .
(٣٥) عباس البغدادي، في مدرسة الشهيد الشيرازي، المشروع الإسلامي المعاصر، دينامية الفعل والتطوير، الراحل الحاضر، ص ٩٣-٩٤ .
(٣٦) المصدر نفسه .
(٣٧) حسن الشيرازي، كلمة الإسلام، ص ١٢٥-١٢٦ .
(٣٨) المصدر نفسه .
(٣٩) المصدر نفسه، ص ١٢٧ .
(٤٠) المصدر نفسه، ص ١٤١ .
(٤١) المصدر نفسه، ص ١٤١-١٤٢ .
(٤٢) عادل رؤوف، العمل الإسلامي في العراق، ص ٦٦ .
(٤٣) حيدر حسين الكاظمي، اطروحة العمل الحزبي، الراحل الحاضر، ص ١١٠ .